تغريدة تكشف مستقبل العلاقات السعودية الإيرانية

تغريدة واحدة لوزير الخارجية الإيراني حسين أمير عبد اللهيان عن لقائه بسمو ولي العهد-حفظه الله- كافية لتكشف رؤية المملكة لاستئناف علاقتها مع إيران ومستقبل هذه العلاقات. الوزير الذي التقى ولي العهد يوم الجمعة التاسع عشر من هذا الشهر في أول زيارة له بعد انقطاع العلاقات منذ ٢٠١٦ نشر على حسابه في منصة تويتر تغريدة من سبع وأربعين كلمة هذا نصها: «اجتمعنا هذا الصباح مع ولي عهد المملكة العربية السعودية الأمير محمد بن سلمان في جدة لمدة ٩٠ دقيقة، وكان حوار صريح وشفاف ومفيد ومثمر على أساس سياسة الجوار. بإرادة رئيسي البلدين، تم التأكيد على العلاقات الثنائية المستقرة في جميع المجالات. نتفق على «الأمن والتنمية للجميع» في المنطقة».

أ.د صالح بن محمد الخثلان

التغريدة تضمنت ثلاث معلومات في غاية الأهمية على النحو الآتي:

١. اللقاء استمر تسعون دقيقة.
٢. الحوار كان صريحاً وشفافاً ومفيداً ومثمراً.
٣. الاتفاق على الأمن والتنمية للجميع في المنطقة.

هذه المعلومات الثلاث كما جاءت في تغريدة الوزير تحمل دلالة واحدة وإجابة لمن يتساءل عن مستقبل العلاقات بين المملكة وإيران حسب وجهة النظر السعودية.

المعلومة الأولى مدة اللقاء غير عادية في العرف الدبلوماسي؛ فليس معتاداً أن يخصص أحد أركان القيادة في أي دولة ساعة ونصف للحديث مع وزير خارجية، حيث إن هذا النوع من اللقاءات يأخذ في العادة طابع المجاملة ويترك البحث المعمق في موضوع الزيارة لوزيري الخارجية. سمو ولي العهد والذي يتولى أيضاً رئاسة مجلس الوزراء ويمثل الركن الثاني في القيادة السعودية بعد خادم الحرمين الشريفين كسر هذه القاعدة ومنح الوزير والوفد المرافق معه مدة طويلة كافية لأن يتجاوز الحديث العبارات المعتادة عن التمنيات والتطلعات لمستقبل العلاقات. وهذا ما كشفه وصف الوزير حسين أمير عبد اللهيان للحوار بأنه «صريح وشفاف ومفيد ومثمر. وحين نضيف هذه المعلومة الثانية حول طبيعة اللقاء إلى المعلومة الأولى بشأن مدة اللقاء ينكشف لنا تصور سمو ولي العهد للعلاقات مع إيران والمستقبل المنشود لها.

هاتان المعلومتان تؤكدان أن سمو ولي العهد وجد في اللقاء فرصة ليطلع وزير الخارجية- والقيادة الإيرانية حيث إن الوزير سيرفع تقريراً عن الزيارة للرئيس إبراهيم رئيسي- على منطلق ومحرك السياسة الخارجية السعودية الراهنة تجاه المنطقة والعالم.

فأما المنطلق فهو قناعة سعودية بأن سياسة الدولة وعلاقاتها الخارجية يجب أن تستهدف الإنسان وتجويد حياته وليس البحث عن مناطق نفوذ أو تحقيق مكاسب والدخول في تنافس وصراع مع الآخر يتسبب في خسائر مكلفة ومؤلمة تحت أوهام وتخيلات السيطرة على عدة عواصم في المنطقة.

وأما محرك السياسة الخارجية السعودية، الذي أجزم أنه كان حاضراً في حديث التسعين دقيقة، فهو ضمان نجاح رؤية المملكة ٢٠٣٠ من خلال تهيئة بيئة إقليمية ودولية داعمة لها أو على الأقل غير معيقة وذلك من خلال دبلوماسية سعودية نشطة تستهدف استعادة الاستقرار للمنطقة التي عانت كثيراً من تداعيات «الربيع العربي»، وبناء شراكات متنوعة وعملية دليلها المصلحة الوطنية وتحقق الفائدة للجميع.

وهنا تتبين أهمية العبارة التي ختم بها الوزير تغريدته « الأمن والتنمية للجميع» (المعلومة الثالثة). هذه عبارة في غاية الأهمية فهي تكشف جوهر حديث سمو ولي العهد مع الوزير، ومفردة التنمية تحديداً التقطها الوزير من سموه. فمن يقرأ خطاب السياسة الخارجية الإيرانية منذ الثورة لن يلحظ هذه المفردة؛ فهو خطاب جوهره الأمن والمواجهات وزيادة القدرات العسكرية والتحالفات لمواجهة سياسة «الاستكبار والغطرسة والدفاع عن حقوق المستضعفين».

غياب مفردة التنمية من الخطاب الإيراني الخارجي ليس مستغرباً لأن طهران ومنذ ١٩٧٩ جعلت غايتها تصدير الثورة ومواجهة «قوى الاستكبار» ولذلك حشدت كافة قدراتها لهذه الغاية وجعلت الشعب الإيراني يدفع ثمنها من خلال العقوبات والصراعات الدائمة التي أعاقت التنمية والازدهار، والمؤشرات على ذلك كثيرة وتظهر من خلال مقارنة سريعة بين إيران وجيرانها.

لقاء وزير الخارجية الإيراني مع سمو ولي العهد كان فرصة له للتعرف على الرؤية السعودية الجديدة التي تمثل تحول فكري paradigm shift ويظهر من مدة اللقاء أن سموه حرص على أن يدرك الوزير هذا التحول العميق الذي يوجه التصور السعودي لمستقبل العلاقات مع إيران ليكون جوهرها: التنمية والازدهار.

وكما يقول المثل العربي «يد واحدة لا تصفق» أو العبارة الشهيرة it takes two to tango "تحتاج شخصين لأداء رقصة التانغو»، فإن ضمان تحقق هذا المستقبل يقتضي تحولاً فكريًا مماثلاً في طهران، وقد تكون الاحتجاجات الشعبية التي شملت أرجاء إيران وتجاوزت المطالب التقليدية محركاً لهذا التحول المأمول، وتصبح التنمية بوصلة السياسة الخارجية الإيرانية، وإذا حدث ذلك، فإن آثاره الإيجابية لن تقتصر على الشعب الإيراني بل ستعم المنطقة كافة.

المؤكد أن حسين أمير عبد اللهيان خرج من لقاء التسعين دقيقة برؤية مختلفة جداً عن المملكة، ومؤكد أيضاً أن الرئيس إبراهيم رئيسي وبعد زيارته المرتقبة سيسمع هو الآخر خطاباً تنموياً لم يعتاده سيربك نسقه العقدي ويغيره لصالح إيران وللمنطقة.

مستشار في بمركز الخليج للأبحاث

Gulf Research Center
Knowledge for All

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

www.grc.net